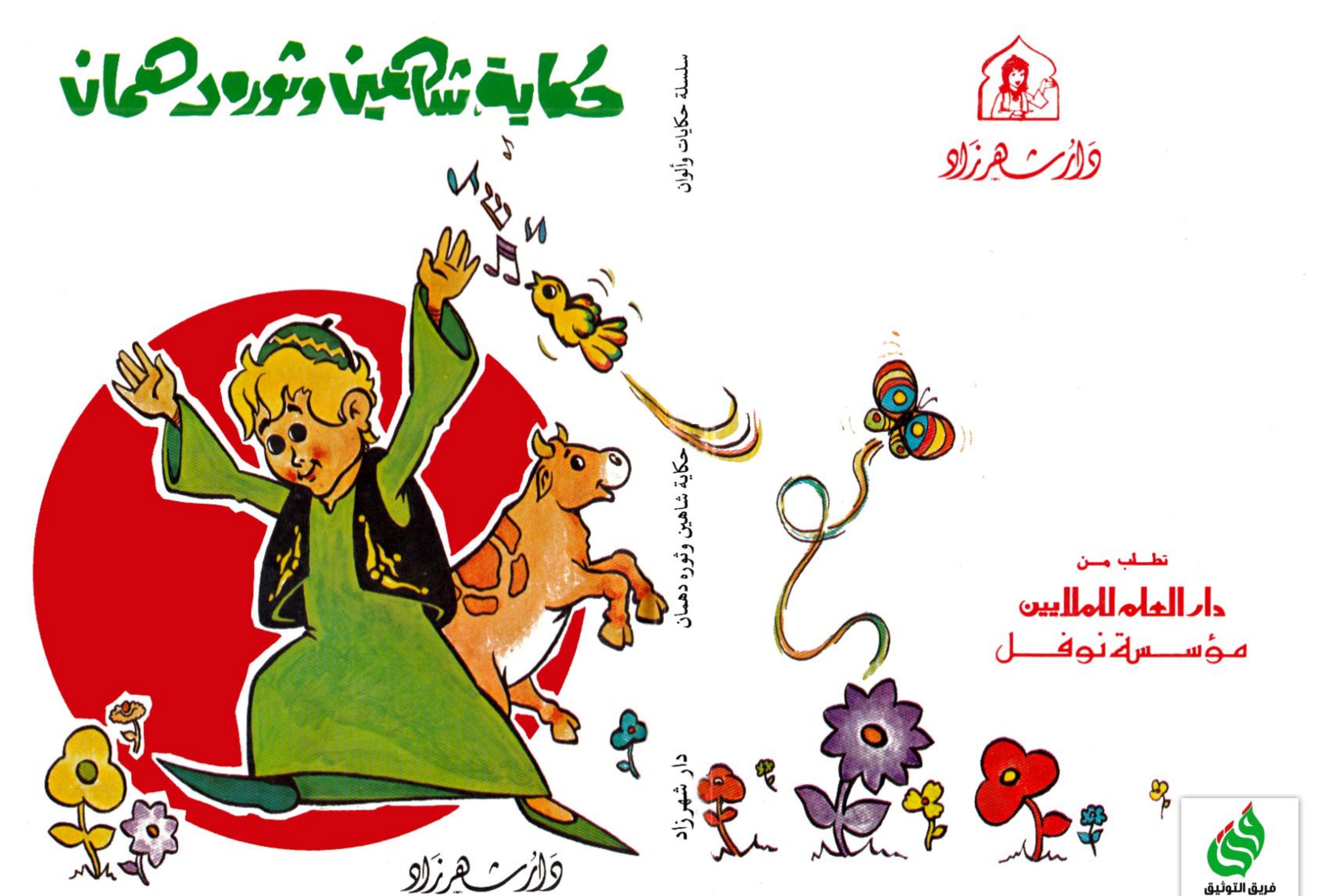

حكاية شاهين وثوره دهمان
سلسلة حكايات وألوان
حكاية شاهين وثوره دهمان
دار شهرزاد
دار شهرزاد
دار شهرزاد
تطلب من
دار العلم للملايين
مؤسسة نوفل
فريق التوثيق الألكتروني

سلسلة حكايات وألوان

أبو كيس

عربة القرية

سعيد وسعدو

التمثال الأثري

الأصدقاء الثلاثة

الرسامة المغرورة

الصيادان الصغيران

حكاية شاهين وثوره دهمان

من الذي اصطاد السمكة؟

العفريت وسلوم الشقي

ص. ب. ٢١٦١ أو ص. ب. ١٠٨٥
بيروت. لبنان



سِلسِلة حِكايات وَألوَان

حكاية شاهين وثوره دهمان

قصة ورسم:
يوسف عبدلكي

دار شهرزاد



اسْتَيْقَظَ «شاهين» مِنَ النَّوْمِ باكِراً، وَذَهَبَ إلى ضِفَّةِ ٱلْجَدْوَلِ، وَقَعَدَ تَحْتَ السِّنْديانَةِ ٱلْكَبيرَةِ وَأَخَذَ يَرْمي بِالْحِجارَةِ في ٱلْماءِ. وَكانَ يُصْغي إلى غِناءِ ٱلْعَصافيرِ، وَيُشاهِدُ ٱلْأَسْماكَ ٱلْمُلَوَّنَةَ سابِحَةً وقافِزَةً كَأَنَّها تُشارِكُهُ في لَعِبِه. ولَمْ يَكُنْ يُفَكِّرُ بِوالِدِهِ ٱلْمَريض.



لَحِقَتْ بِهِ أُمُّهُ، وَأَعادَتْهُ إلى ٱلْمَنْزِلِ وَقالَتْ لَهُ:

– هَيّا يا شاهينُ.. إِنَّ والِدَكَ مَريضٌ ٱلْيَوْمَ، وَأَنْتَ أَصْبَحْتَ وَلَداً كَبيراً، فَعَلَيْكَ بِالْعَمَلِ مَكانَه. إِذْهَبْ بِالثَّوْرِ (دَهْمان) وَبِالْمِحْراثِ وَٱقْلِبِ ٱلْأَرْضَ وَٱزْرَعْها كَما يَفْعَلُ أَبوك.

حاوَلَ شاهين التَّهَرُّبَ مِنَ ٱلْعَمَلِ، وَلكِنَّ أُمَّهُ شَدَّدَتْ عَلَيْهِ فَخَضَعَ لِأَمْرِها.

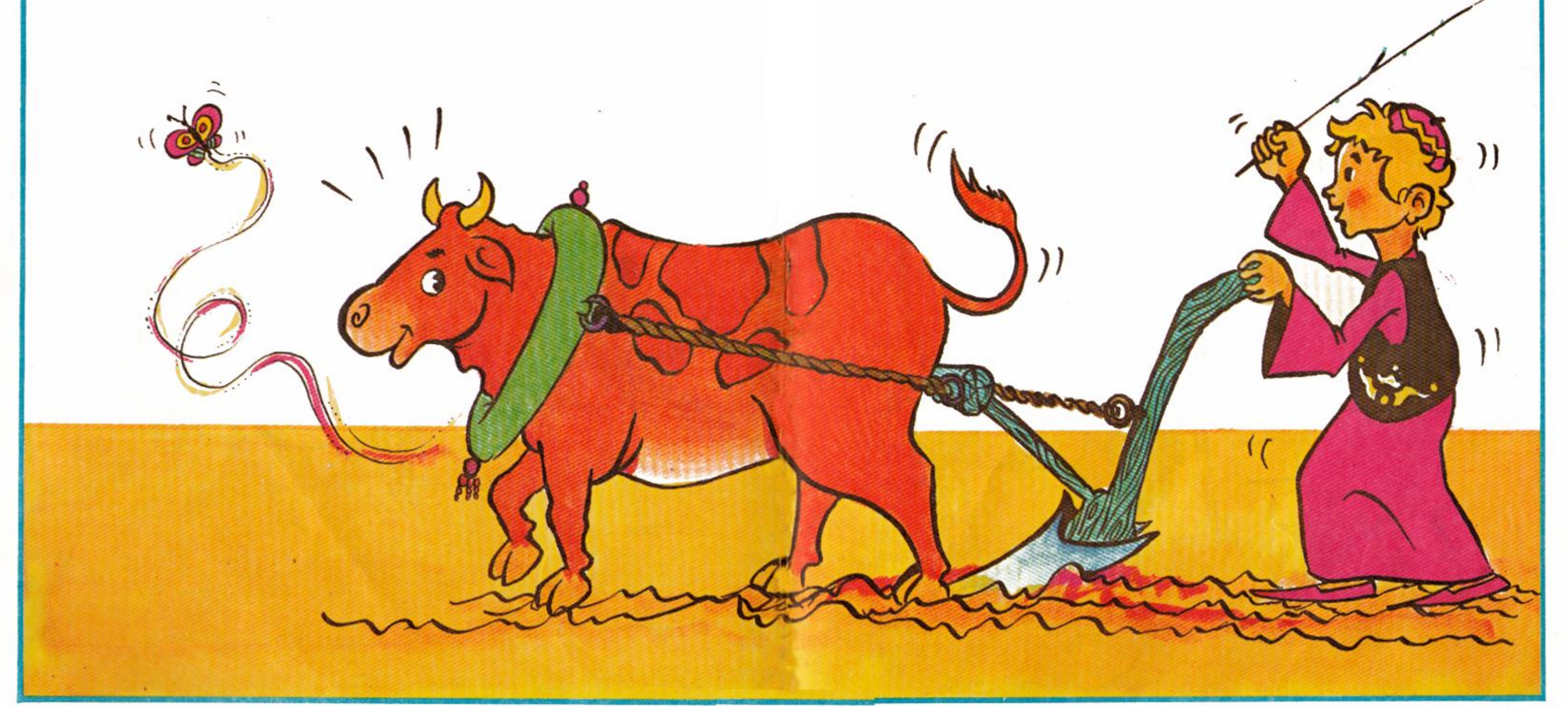


مَضى شاهين إلى ٱلْحَقْلِ وَهُوَ يَسوقُ ثَوْرَهُ دَهْمان، وَيَضَعُ عَلى كَتِفِهِ زادَهُ وَيَحْمِلُ بِيَدِهِ مَطْرَةَ ٱلْماءِ. وَوَقَفَتْ أُمُّهُ أمامَ ٱلْبَيْتِ تُوَدِّعُهُ، وَتَتَمَنّى لَهُ يَوْماً سَعيداً، فَقَدْ سَرَّها أَنْ تَرى وَلَدَها شاهين يَعْمَلُ بِنَشاطٍ كَٱلرِّجال. فَٱرْتَسَمَتْ عَلى فَمِها ٱبْتِسامَةُ ٱلرِّضا وَٱلسَّعادَة.

ساقَ شاهين ٱلثَّوْرَ أَمامَهُ وَراحَ يَحْرُثُ ٱلْأَرْضَ، وَلٰكِنَّهُ ما لَبِثَ إِلاّ قليلاً حَتّى عاوَدَتْهُ الرَّغْبَةُ في ٱلتَّكاسُلِ فَقالَ مُحدِّثاً نَفْسَهُ:

- لَقَدْ عَمِلْتَ كَثيراً يا شاهين! وَيَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَأْخُذَ قِسْطاً مِنَ الرّاحَةِ.

ثُمَّ أَوْقَفَ ٱلثَّوْرَ الَّذي نَظَرَ إِلَيْهِ مُسْتَغرِباً، وَمَضى إلى الشَّجَرَةِ الَّتي كانَ قَدْ وَضَعَ بِجانِبِها زادَهُ وَمَطْرَةَ ٱلْماءِ.





أَسْنَدَ شاهين ظَهْرَهُ إلى جِذْعِ الشَّجَرَةِ، وَٱسْتَسْلَمَ لِأَفْكارِهِ... لَوْ أَنَّ والِدي لَمْ تُصِبْهُ ٱلْوَعْكَةُ هٰذا الصبّاحَ لَذَهَبْتُ إلى النَّهْرِ وَلَعِبْتُ مَع رِفاقي، أَوْ قَصَدْتُ مَنْزِلَ صَديقي إِبْراهيمَ وَأَخْرَجْنا الدّيكَةَ مِنْ خُمِّها وَتَرَكْناها تَتَصارَعُ وَتَتَعارَكُ وَنَحْنُ نَتَصارَعُ مِنْ حَوْلِها...

آه ما أَحْلى النَّهْرَ، وَما أَجْمَلَ السِّباحَةَ في مِياهِهِ...

ثُمَّ أَغْمَضَ شاهينُ عَيْنَيْهِ وَٱسْتَرْسَلَ في أَحْلامِهِ حَتّى غَلَبَهُ النُّعاسُ فَنام.

اسْتَيْقَظَ شاهين – فَجْأَةً – وَٱلْتَفَتَ حَوْلَهُ فَلَمْ يَجِدِ الثَّوْرَ، لَقَدْ ٱخْتَفَى مِنْ مكانِه.

هَبَّ شاهين واقِفاً وَراحَ يَرْكُضُ في أَطْرافِ ٱلْحَقْلِ بحْثاً عنِ الثَّوْرِ وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ لَهُ أَثَراً.

فَقالَ في نَفْسِهِ وكَأَنَّهُ يُؤَنِّبُها:

– لا بُدَّ أَنَّ اللُّصوصَ سَرَقوهُ!... يا لَخَيْبَتي، لَقَدِ ٱسْتَسْلَمْتُ لِلْأَحْلامِ فَجاءَ اللّصوص وَسَرَقوا الثَّوْرَ. لَعْنَةُ ٱللهِ عَلى ٱلْأَحْلامِ.. وَعَلى ٱللَّعِبِ. وَٱلدّيكَةِ.. وَٱلْأَنْهار.



حَدَّقَ شاهين في الطَّرَفِ الشّمالي مِنَ ٱلْحَقْلِ فَرَأى على ٱلْبُعْدِ رَجُلَيْنِ يَرْكُضانِ وَمَعَهُما حَيَوانٌ كَبيرٌ.. لا بُدَّ أَنْ يَكونا اللِّصَّيْنِ اللَّذَيْنِ سَرَقا الثَّوْرَ دَهْمان.

حَثَّ شاهين خُطاهُ وَأَسْرعَ بِاللِّحاقِ بِهِما.

وَعِنْدَما رَأى اللِّصّانِ شاهين يَرْكُضُ نَحْوَهُما أَسْرَعا في رَكْضِهِما ساحِبَيْنِ الثَّوْرَ خَلْفَهُما.

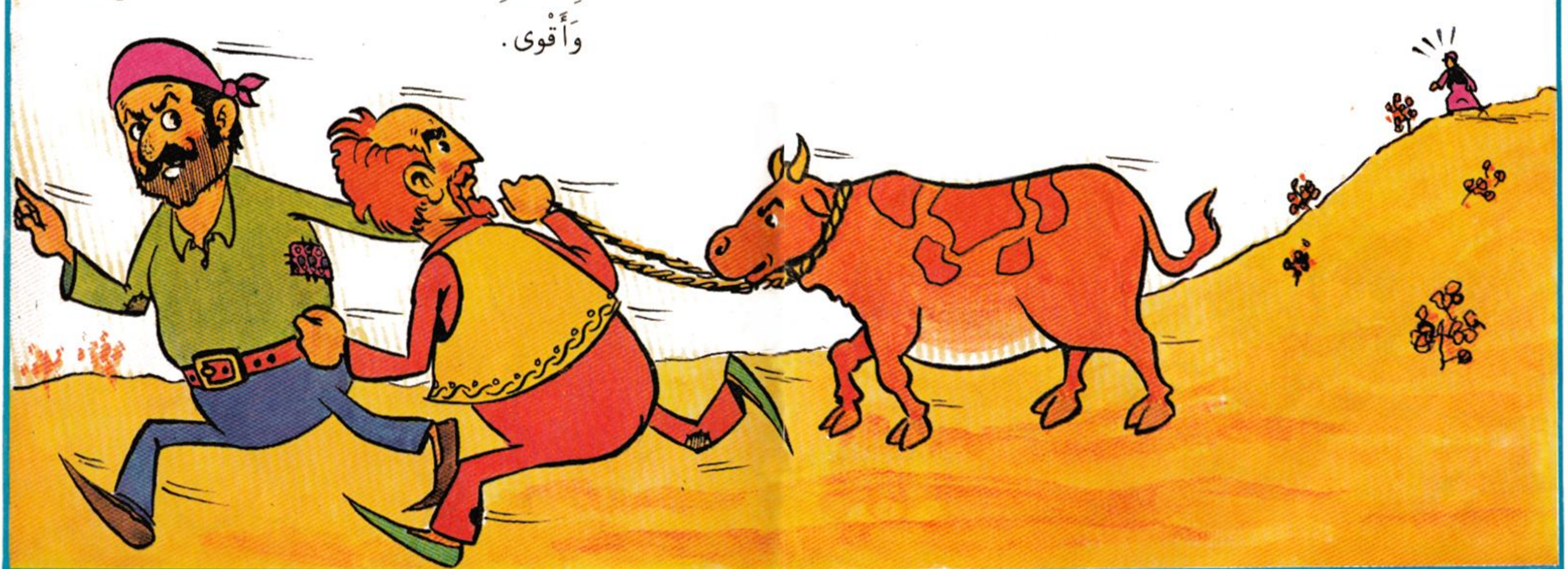
اِجْتازَ شاهين ٱلْجَدْوَلَ، وَٱخْتَرَقَ ٱلْحُقولَ، ثُمَّ راحَ يَصْعَدُ ٱلْهَضَبَةَ حتّى ٱعْتَلى قِمَّتَها فشاهَدَ اللِّصَّيْنِ بِوُضوحٍ أَكْثَرَ، وَرَأى الثَّوْرَ الَّذي سُرْعانَ ما عَرَفَهُ.. إنَّهُ (دَهْمان) ذو اللَّوْنِ اللاَّمعِ.

كانَ اللِّصّانِ يَتّجِهانِ نَحْوَ غابَةِ الصُّخورِ وَقَد سُمِّيَتْ بِذَلكَ لِكَثْرَةِ مَمرّاتِها ٱلْمُتَعَرِّجَةِ ٱلْمُتَشابِكَةِ، الَّتي غالِباً ما يَضيعُ ٱلْمَرْءُ فيها.

أَطْلَقَ شاهين ساقَيْهِ لِلرِّيحِ بِاتِّجاهِ اللِّصَّيْنِ، وَأَخَذَ يَحُثُّ نَفْسَهُ: أَسْرِعْ يا شاهين، أَسْرِعْ لِئَلاّ تَفْقِدَ الثَّوْرَ دَهْمان.. دَهْمان القوي.. دَهْمان الصَّبور. إِنْ فَقَدْتُكَ يا دَهْمان أَغْضَبْتُ أَبي، وَخَسِرْتُ مَحَبَّةَ أُمّي.. يا ثَوْري دَهْمان يَجِبْ أَنْ تَعودَ لأَرْضِكَ وَلِحَظيرَتِكَ وَلِصَديقِكَ شاهين.

كانَ هَمُّ اللِّصَّيْنِ أَنْ يَصِلا إِلى غابَةِ الصُّخورِ، وَهُناكَ يَسْتَطيعانِ الْاخْتِفاءَ، وكانَ شاهين يُدْرِكُ ذَلِكَ، فَحَثَّ خُطاهُ لِكَيْ يَلْحَقَ بِهِما قَبْلَ أَنْ يَتَمَكَّنا مِنْ تَحْقيقِ غايَتِهِما.

وَعَلى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ شاهينَ كانَ مَشْهوراً بِسُرْعَةِ الْجَرْيِ إِلاّ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعِ اللِّحاقَ بِاللِّصَّيْنِ.. لَقَدْ كانا - عَلى ما يَبْدو - أَسْرَعَ مِنْهُ وَأَقْوى.



لَمْ يَدَعْ شاهين ٱلْيَأْسَ يَتَطَرَّقُ إلى قَلْبِهِ، بَلْ دَخَلَ أَيْضاً غابَةَ الصُّخورِ مُحاوِلاً تَتَبُّعَ آثارِ أَقْدامِ اللِّصَّيْنِ وَأَظْلافِ الثَّوْرِ في ٱلْمَمَرّاتِ التُّرابِيَّةِ.

فَرِحَ شاهين عِنْدَما شاهَدَ آثارَ اللِّصَّيْنِ واضِحَةً عَلى التُّرابِ، لِأَنَّهُ عَرَفَ ٱتِّجاهَ سَيْرِهِما، مِمّا جَعَلَهُ يَلْحَقُ بِهِما بِسُرْعَةٍ وَلا سِيَّما أَنَّهُما لا يَسْتَطيعانِ ٱلْإِسْراعَ في تِلْكَ ٱلْمِنْطَقَةِ ٱلضَّيِّقَةِ ٱلْمُلْتَوِيَةِ بِصُحْبَةِ الثَّوْرِ.

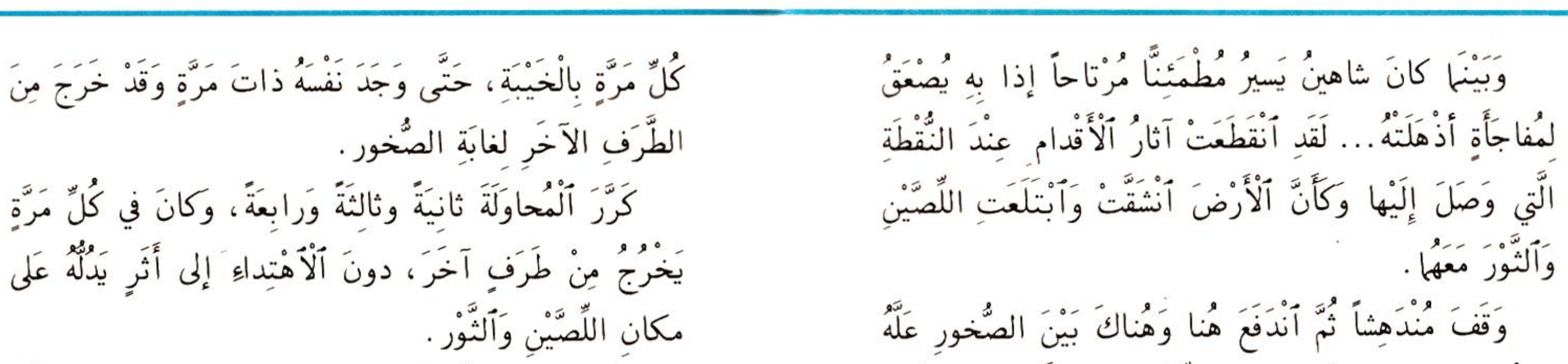


وَبَيْنَما كانَ شاهينُ يَسيرُ مُطْمَئِنًّا مُرْتاحاً إذا بِهِ يُصْعَقُ لِمُفاجَأَةٍ أَذْهَلَتْهُ... لَقَدِ ٱنْقَطَعَتْ آثارُ ٱلْأَقْدامِ عِنْدَ النُّقْطَةِ الَّتي وَصَلَ إِلَيْها وكَأَنَّ ٱلْأَرْضَ ٱنْشَقَّتْ وَٱبْتَلَعَتِ اللِّصَّيْنِ وَٱلثَّوْرَ مَعَهُما.

وَقَفَ مُنْدَهِشاً ثُمَّ ٱنْدَفَعَ هُنا وَهُناكَ بَيْنَ الصُّخورِ عَلَّهُ يَجِدُ ما يَهْديهِ إلى طَريقِ سَيْرِ اللِّصَّيْنِ، وَلكِنَّهُ كانَ يَعودُ في كُلِّ مَرَّةٍ بِالْخَيْبَةِ، حَتَّى وَجَدَ نَفْسَهُ ذاتَ مَرَّةٍ وَقَدْ خَرَجَ مِنَ الطَّرَفِ الآخَرِ لِغابَةِ الصُّخورِ.

كَرَّرَ ٱلْمُحاوَلَةَ ثانِيَةً وثالِثَةً وَرابِعَةً، وكانَ في كُلِّ مَرَّةٍ يَخْرُجُ مِنْ طَرَفٍ آخَرَ، دونَ ٱلْاهْتِداءِ إلى أَثَرٍ يَدُلُّهُ على مَكانِ اللِّصَّيْنِ وَٱلثَّوْرِ.

اِشْتَدَّتْ حَرارَةُ ٱلْجَوِّ، وَٱزْدادَ عَطَشُ شاهينَ فَتَمَنَّى قَطْرَةً مِنَ ٱلْماءِ يَبُلُّ بِها ريقَهُ.. وَلكِنْ أَيْنَ ٱلْماءُ؟



لَمْ يَدَعْ شاهين اَلْيَأْسَ يَدْخُلُ إلى نَفْسِهِ، بَلْ قَرَّرَ أَنْ يَسيرَ في الصَّحْراءِ، لِأَنَّ اللِّصَّيْنِ قَدْ يَكونانِ – عَلى اَلْأَغْلَبِ – قَدْ خَرَجا مِنَ اَلْغابَةِ.

حَثَّ خُطاهُ بِجِدٍّ وَنَشاطٍ رَغْمَ الرِّمالِ اَلْحارَّةِ الَّتي كانَتْ تَعوقُهُ وَتَحْرِقُ قَدَمَيْهِ، وَكانَ كُلَّما وَصَلَ إلى كَثيبٍ رَمْلِيٍّ اَعْتَلاهُ مُعْتَقِداً أَنَّهُ سَيَراهُما خَلْفَهُ، لَكِنَّ ظَنَّهُ كانَ يَخيبُ دائِماً.

وَكانَ شاهين، كُلَّما اَشْتَدَّ اَلْحَرُّ، اَزْدادَ تَعَباً وَعَطَشاً، حَتّى قَرَّرَ أَخيراً اَلْعَوْدَةَ مِنْ حَيْثُ جاءَ، بَعْدَ أَنْ فَقَدَ كُلَّ أَمَلٍ بِالْعُثورِ عَلى الثَّوْرِ،، فَاَسْتَدارَ عائِداً، وَلكِنَّهُ لَمْ يَكَدْ يَسيرُ بِضْعَ خُطُواتٍ حَتّى أَحَسَّ بِأَنَّهُ عاجِزٌ عَنِ اَلْاَسْتِمْرارِ في السَّيْرِ.





أَخيراً سَقَطَ شاهين على الرِّمالِ ٱلْمُلْتَهِبَةِ، وَقَدْ جَفَّ حَلْقُهُ، فَنَظَرَ إلى السَّماءِ خائِرَ القوَى، وَقالَ وَهُوَ يَلْهَثُ:

- آه! لَوْ حَمَلْتُ مَعي مَطْرَةَ ٱلْماءِ الصَّغيرَةَ، إِذَنْ، لَكانَتْ أَنْقَذَتْني مِنَ ٱلْمَوْتِ عَطَشاً في هذهِ السَّاعاتِ ٱلْمُؤْلِمَة.

حاوَلَ شاهين أَنْ يَنْهَضَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ، حاوَلَ مَرَّةً أُخْرى فَجَمَعَ ما تَبَقّى لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَعَزْمٍ وَوَقَفَ على قَدَمَيْهِ، وَراحَ يَمْشي بِبُطْءٍ على غَيْرِ هُدًى وَهُوَ يَصْرُخُ: قَطْرَةَ ماءٍ.. قَطْرَةَ ماء... إِنّي أَكادُ أَموتُ عَطَشاً.

وَبَيْنا هُوَ كَذلِكَ يَسيرُ ذاتَ ٱلْيَمينِ وَذاتَ الشِّمالِ إذا بِهِ يَجِدُ نَفْسَهُ أَمامَ هاوِيَةٍ سَحيقَة. حاوَلَ أَنْ يَتَمالَكَ نَفْسَهُ وَيَتَراجَعَ عَلى مَهْلٍ، وَلكِنَّ بَعْضَ الأَعْشابِ زَلَقَتْ تَحْتَ رِجْلَيْهِ فَفَقَدَ تَوازُنَهُ وَهَوى إلى ٱلْقاعِ وَهُوَ يُطْلِقُ صُراخَ ٱلْأَلَمِ وَٱلْخَوْف.



لَمْ يَكَدْ شاهين يَرْتَطِمُ بِقاعِ ٱلْهاوِيَةِ، حَتّى ٱسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ مَذْعوراً، وَإِذا بِيَدَيْهِ تُحيطانِ بِعُنُقِهِ كَمَنْ يُريدُ أَنْ يَأْخُذَ نَفَساً عَميقاً، ثُمَّ نَظَرَ حَوْلَهُ بِجَزَعٍ فَرَأى نَفْسَهُ لا يَزالُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَٱلثَّوْرُ دَهْمانُ ما يَزالُ واقِفاً أَمامَ ٱلْمِحْراثِ.

عَرَفَ شاهينُ أَنَّهُ رَأى حُلْماً مُزْعِجاً، أَثْناءَ نَوْمِهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَأَصابَهُ ٱلْوُجومُ لَحْظَةً ثُمَّ راحَ يَبْتَسِمُ وَهُوَ يَرى أَمامَهُ مَطْرَةَ ٱلْماءِ.. فَرَنا إِلَيْها بِلَهْفَةٍ وَقالَ مُخاطِباً إِيّاها: أَيْنَ كُنْتِ أَيَّتُها الصَّديقَةُ؟ لَقَدْ كِدْتُ أَموتُ عَطَشاً!.

وَٱبْتَسَمَ مَرَّةً أُخْرى وَهُوَ يَشْرَبُ جُرْعَةً كَبيرَةً ثُمَّ نَهَضَ سائِراً نَحْوَ ٱلثَّوْرِ.

رَبَّتَ شاهين بِيَدِهِ عَلى عُنُقِ الثَّوْرِ وَقالَ لَهُ:

- لَنْ أَتْرُكَ اَلْعَمَلَ مَرَّةً أُخرى، وَلَنْ أُحاوِلَ النَّوْمَ أَثْناءَ اَلْفِلاحَةِ أَبَداً.. هَيّا يا ثَوْري العَزيز.. إلى اَلْحِراثَةِ فَهِيَ أَفْضَلُ بِكَثيرٍ مِنَ النَّوْمِ تَحْتَ اَلْأَشْجارِ. إِنَّ اَلْعَمَلَ - عَلى اَلْأَقَلِّ - يُنْجينا مِنَ



اَلْمَوْتِ عَطَشاً في الصَّحْراءِ. أَلَيْسَ كَذَلِكَ يا دَهْمان؟!.

لَمْ يَفْهَمِ الثَّوْرُ شَيْئاً مِمّا قالَهُ شاهين لَكِنَّهُ كانَ مَسْروراً لِأَنَّ صاحِبَهُ قَدْ عادَ إِلى اَلْعَمَلِ بِهِمَّةٍ وَنَشاط.